أحاديث إصلاح القلوب

(٢١)

خطورة الشيطان على القلب

عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، قَالَ: وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**». رواه أحمد والنَّسائيُّ[(١)].

في هذا الحديث بيان لخطورة الشَّيطان البالغة على قلب المسلم، وأنَّه أحرص ما يكون على العبد عندما يهمُّ قلبه بالخير أو يدخل فيه فهو يشتدُّ

---

(١) رواه أحمد (١٥٩٥٨)، والنَّسائيُّ (٣١٣٤)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (١٦٥٢).

عليه حينئذ ليقطعه عنه، وكُلَّما كان الفعل أنفع للعبد وأحبَّ إلى الله تعالى كان اعتراض الشَّيطان له أشدَّ.

وهذه العداوة من الشَّيطان لابن آدم قديمة؛ إذ لمَّا سأله الله عن امتناعه عن السُّجود لآدم احتجَّ بأنَّه خير منه، فأخرجه الله من الجنَّة، فسأل الله أن ينظره فأنظره، ثمَّ قال عدوُّ الله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

ولهذه الآية نظائر في بيان شدَّة تسلُّط الشَّيطان على قلب ابن آدم؛ لصدِّه عن الخير وإيقاعه في الشَّرِّ.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[النِّساء:١١٨ - ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾

[فصِّلت:٢٥].

ولقد أنذر الله جلَّ في علاه عباده من اتِّباع خطوات الشَّيطان في أربعة مواضع من القرآن الكريم؛ موضعين في سورة البقرة، وموضع في سورة الأنعام، وموضع في سورة النُّور. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة:٢٠٨]، وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأنعام:١٤٢]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النُّور:٢١].

وخطوات الشَّيطان هي نزغاته وسمومه الَّتِي ينفثها في القلوب، وما يدعو إليه من كفرٍ أو بدعةٍ أو معصيةٍ لله، وكلُّ عاصٍ لله أيًّا كانت معصيته فهو متَّبعٌ لخطوات الشَّيطان، والنَّاس في ذلك متفاوتون بين مقلٍّ ومستكثر.

والشَّيطان عدوٌّ للإنسان، وهو حريصٌ أشدَّ الحرص باذلٌ كلَّ الجهد والوسع في إغواء الإنسان وصدِّه عن طاعة الرَّحمن، وهو قاعدٌ لابن آدم في

كلِّ طريق صدًّا وإغواءً وصرفًا عن طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، روى الحاكم في المستدرك وابن حِبَّان في صحيحه عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ، فَيَخْرُجُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَبَرَّ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى زَنَى فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ**»[(١)].

فهذه منافسةٌ يجريها الشَّيطان كلَّ يومٍ إذا أصبح بين جنوده وشياطينه وأعوانه لإغواء الإنسان وصدِّه وإبعاده عن طاعة الرَّحمن وإيقاعه في شراك الذُّنوب ووحل المعاصي، بل ونقْله إلى الإشراك بالله والكفر به سبحانه.

ثمَّ إنَّ الشَّيطان ينصِب في طريق الإنسان عقبات يريد أن يوقعه فيها مهتمًّا بأعظمها عنده، ثمَّ الَّتِي تليها، وأولى تلك العقبات الإشراك بالله والكفر به سبحانه والسُّخرية من دينه وتكذيب أنبيائه ورسله، والخروج من طاعته جلَّ في علاه، فإن لم يتمكَّن من إيقاعه في هذه العقبة نقله إلى عقبة البدع، إمَّا

---

(١) رواه ابن حِبَّان في صحيحه (٦١٨٩)، والحاكم في مستدركه (٨٠٢٧)، وصحَّحه الألبانِيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة (١٢٨٠).

البدع الاعتقاديَّة بأن يعتقد ما لم يشرعه الله، أو البدع العمليَّة بأن يتقرَّب إلى الله بما لم يأذن به، فإن لم يتمكَّن من ذلك نقله إلى الكبائر وعظائم الذُّنوب وزيَّنها في عينيه حتَّى يقع فيها ويكون من أهلها، فإن لم يتمكَّن نقله إلى الصَّغائر، وهكذا عدوُّ الله يتدرَّج بالإنسان تنقُّلًا بين هذه العقبات إغواءً وصدًّا للإنسان عن طاعة الله جَلَّوَعَلَا.

وللشَّيطان مدخلان على الإنسان: مدخل الشَّهوة، ومدخل الشُّبهة، ولا يبالي عدوُّ الله بأيِّ الأمرين ظفَر، فإن رأى في الإنسان تديُّنًا وطاعة دخل عليه من مدخل الشُّبهات حتَّى يوقعه في الغلوِّ في الدِّين وممارسة البدع الَّتِي ما أنزل الله بها من سلطان، وإن وجد في الإنسان تفلُّتًا زيَّن له الشَّهوات حتَّى يوقعه في حمأتها. والواجب على العبد المؤمن أن يكون يقظًا عارفًا بهذا العَدُوِّ، مستعيذًا بالله منه، آخذًا بأسباب النَّجاة، مجاهدًا نفسه على الفكاك والخلاص، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١]، ومَن يجاهد نفسه في طاعة الله، والبعد عن الشَّيطان الرَّجيم وساوسه يهديه الله جَلَّوَعَلَا ويكفيه.

وقد أخبر الله جَلَّوَعَلَا أنَّ الشَّيطان ليس له سلطان على عبد الله المؤمن المعتصم بالله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء:٦٥].

وإنَّ من أهمِّ ما ينبغي للمسلم أن يعنى به في هذا المقام العنايةَ بالحروز الواقية له من الشَّيطان؛ **وأهمَّها وأعظمها عشرة حروز:**

الحرز الأوَّل: التَّعوُّذ بالله منه؛ والتَّعوُّذ: اعتصام بالله والتجاء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وأعظم شرٍّ يُتعوَّذ بالله منه شرُّ الشَّيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصِّلت:٣٦].

الثَّاني: قراءة المُعوِّذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١] و: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [النَّاس:١]، وقد صحَّ في الحديث عن نبيِّنا ﷺ أنَّه قال: «**مَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا**»(١)، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يتعوَّذ بهما كلَّ ليلة إذا أوى إلى فراشه ﷺ(٢)، وصحَّ عنه أنَّ مَن قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاث مرَّات في الصَّباح وثلاث مرَّات في المساء كُفي من كلِّ شَرٍّ(٣).

الثَّالث: قراءة آية الكرسيِّ عندما يأوي المرء إلى فراشه لينام؛ فإنَّها عظيمة الشَّأن في الوقاية من الشَّيطان وطرده وإبعاده من المكان، فقد ثبت في الصَّحيح عن نبيِّنا ﷺ ما يدلُّ على أنَّ مَن قرأهما إذا أوى إلى فراشه لم يزل

---

(١) رواه أبو داود (١٤٦٣)، وصحَّحه الألبانيُّ.

(٢) رواه البخاريُّ (٥٠١٧).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٨٢)، وحسَّنه الألبانيُّ.

عليه من الله حافظًا ولا يقربه شيطان حتَّى يصبح[١].

الرَّابع: قراءة سورة البقرة بتمامها؛ فإنَّ لها شأنًا عجيبًا عظيمًا للغاية في طرد الشَّياطين من البيوت، ففي صحيح مسلم عن نبيِّنا ﷺ أنَّه قال: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»[٢].

الخامس: قراءة الآيتين العظيمتين من خاتمة سورة البقرة، ففي الصَّحيح أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»[٣]. أي: من كلِّ شَرٍّ وسوء، ومن شرِّ الشَّيطان وشركه.

السَّادس: قول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**». فإنَّ هذه الكلمة العظيمة كلمة التَّوحيد من أعظم ما يُتحرَّز به من الشَّيطان ويُتَّقى به شرّه، ففي الصَّحيحين عن نبيِّنا ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ**

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٣١١).

(٢) رواه مسلم (٧٨٠).

(٣) رواه البخاريُّ (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٧).

حَتَّى يُمْسِيَ»[١].

السَّابع: أن يقول المرء -حين تسلَّط الشَّياطين عليه في منامه-: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ**»، ففي التِّرمذيِّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ؛ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**»[٢].

الثَّامن: البسملة؛ أن يقول المرء: «**بسم الله**» في دخوله لمنزله، وفي تناوله لطعامه، وغير ذلك من أحواله؛ فإنَّ له في ذلك حفظًا عظيمًا من الشَّيطان، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قال: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**»[٣].

التَّاسع: أن يحذر المرء من فضول النَّظر، وفضول الطَّعام، وفضول الكلام، وفضول المخالطة؛ فإنَّ هذه الأربعة مداخل عظيمة للشَّيطان على

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٥٢٨)، وحسَّنه الألبانيُّ.

(٣) رواه مسلم (٢٠١٨).

الإنسان، فيُتحرَّز من الشَّيطان باتِّقاء الفضول في هذه الأشياء حفظًا للنَّفس ورعاية لها واتِّقاء للشَّيطان.

العاشر: كثرة ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مختلف الأوقات؛ فإنَّ المكثرين من ذكره جلَّ في علاه، ليس للشَّيطان عليهم طريق، وقد جاء في الحديث أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أخبر: أنَّ يحيى بن زكريَّا عليهما السلام أوصى قومه بذكر الله قال: «**وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ**»[(١)].

ونسأل الله سبحانه أن يعيذنا وذُرِّيَّاتنا من الشَّيطان الرَّجيم.

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٢٨٦٣)، وصحَّحه الألبانِيُّ.